صور من جهاد الشهداء
من المقاطعات الفرعية الأربع

٥٢٤

الشهيدان انبا صرابامون وانبا ديديموس

ملكه حبيب يوسف

يوسف حبيب

صور من جهاد الشهداء
من المخطوطات القبطية الأثرية

٤

ⲧⲙⲁⲣⲧⲩⲣⲓⲁ ⲛ̄ⲧⲉ ⲡⲓⲁⲅⲓⲟⲥ
ⲁ̄ⲡⲁ ⲥⲁⲣⲁⲡⲁⲙⲱⲛ

شهادة القديس الأنبا صرابامون

مترجم عن المخطوطات القبطية بمكتبة الفاتيكان ومتحف بورجيا من:

LES ACTES DES MARTYRS DE L'EGYPIE

tirés des manuscripts coptes de la bibliothèque vaticane et du Musée Borgia.

HENRI HYVERNAT

professeur d'assyriologie et d'égyptologie

Paris, Rome, 1886.

مليكه حبيب يوسف

يوسف حبيب

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد آمين ؟

أبينا الطوباوى المكرم رئيس الاساقفة

الأنبا كيرلس السادس

بابا وبطريرك الكرازة المرقسية

... صعد الأنبا صرابامون نحو المدينة تتبعه الجموع صائحين: « لا يوجد إلا إله القديس صرابامون » . وفى حضرة الحاكم قال: « إخز يا أريان Arien ، لأن آلهتك ليست بآلهة ؛ ولكن إلهى أنا إله مقتدر يسمع صوت خدامه » . فأمر أريان أن يقتادوه إلى السجن انتظاراً لتقرير ما يفعله به .

فلما دخل السجن ، وجد أناساً كثيرين ؛ فقبّلهم جميعاً من الصغير إلى الكبير وقال لهم: « اصبروا يا اخوتى ، لأنه لا معاناة من الجهاد كل الأيام » . فأبدوا خضوعهم وقالوا له : « ياسيدنا ، صلِ من أجلنا حتى يرسل الحاكم فى طلبنا ، ونقبل عذابات خفيفة لأجل اسم ربنا يسوع المسيح » . فرد : « يا اخوتى ، غداً فى هذه الساعة تكملون جهادكم ، وتأخذون اكليلكم إلى الأبد » . وقام فى وسطهم وصلى ؛ وكان أطول منهم جميعاً بارتفاع رأس إنسان :

يا رب انت القضيب الذهب الذى فى يدى الآب ، إكليل الفرح الذى للآب ، أرسل ملاكك لكى يعيننا إلى أن نكمل جهادنا ونخزى الحاكم . أيها الرب القادر على كل شىء ، الجالس على مركبة الشاروبيم ، والسيرافيم أمامه وقوف ، أنت الذى أعطيتنا نعمة قبول إكليل الشهادة ، أعنا الآن يارينا يسوع المسيح » .

وكان فى السجن أرخن معه ستمائة رجل طرح نفسه عند قدمى

الطوباوى الأنبا صرابامون قائلا: « يا سيدى الاب، اصنع معنا رحمة وضمنا إلى الصفوف ». فسأله الأنبا صرابامون: « لماذا زجوا بكم فى السجن؟ » فرد عليه: « اننا فى السجن من أجل ضرائب نحن مدينون بها ». فقال له: « إذا دفعتموها هذه المرة، فلن يطلبوها منكم مرة أخرى ». قال: « نعم » فقال له: « إذن فاتبعنى والتصق بالهى وستصير عضواً فى المسيح ». فقال له الأرخن: « صلِ من أجلنا لكى نكون مستحقين ».

وفى الصباح أرسل الحاكم فى طلب الأنبا صرابامون من السجن وأخرجه. فقال وهم يخرجونه من السجن: « انى آت إليك. أنت مع أبولو، وأنا مع يسوع ». فسأله أريان: « هلا عزمت أن تذبح لآلهة الملك؟ » فرد القديس: « إذا أردت أن أذبح لها، أصدر إلى السجن أمراً باخراج اخوتى وكل المسجونين من أجل اسم المسيح ».

ففى الحال أرسل الحاكم أمراً إلى السجن لكى يخرجوا كل المسجونين. فأخرجوهم جميعاً، وصعدوا جميعهم فرحين إلى المنصة فقال الطوباوى الأنبا صرابامون لأريان: « فليحضروا الهتكم حتى أذبح لها ». ففى الحال أمر الحاكم الكهنة أن يحضروا تمثال أبولو؛ فرفعوه ووضعوه أمام القديس. قال: « فليشعلوا المجمرة

حتى أقدم بخوراً لآلهتك ». ففعلوا. قال: « احضروا لى كتاب الآلهة حتى أراه ». ففرح أريان وناوله الكتاب فقرأه ووجد مكتوباً فيه سبعين إلهاً. أما الحاكم فقد أخذ قليلا من البخور وأرجع يديه إلى الوراء وهو يقدم العبادة لأبولو، وألقى بالبخور فى المجمرة. وكان الأنبا صرابامون مندهشاً لجنون الناس. ثم قال أريان للأنبا صرابامون: « هذا لا يسبب ألماً؛ خذ قليلا من البخور وضعه على المجمرة؛ هذا كل ما أريده منك ».

وعندما أخذ الطوباوى الأنبا صرابامون الكتاب وذهب نحو المجمرة، كان الحاكم مسروراً للغاية، ظاناً أنه سوف يذبح؛ ولكن الطوباوى تقدم نحو المجمرة، ورفع الكتاب الذى كان فى يديه ورماه فى المجمرة وسط اللهب. ثم تقدم نحو التمثال، وضرب الأرض بقدمه، فهبط أبولو فى الهاوية مع المجمرة. ثم أخذ عصا ودخل الهيكل وكسر كل الآلهة التى كانت فيه. وفيما كان فى الهيكل، كان كل الذين أخرجهم الحاكم من السجن يرجمون تمثال الملك حتى هشمته الحجارة. وصاح كل الجمع: نحن مسيحيون ونعترف بذلك جهراً بإرادتنا. فأمر الحاكم أن يقتادوهم خارج المدينة. وأوقفوهم صفوفاً صفوفاً، وحفروا خنادق ورموهم فيها، ثم أشعلوا النار. فأكملوا شهادتهم بنبل، وأخذوا الإكليل الذى لا يفسد، بسلام الله، آمين.

وأمر أريان أن يحضروا خشبة يابسة طولها عشرين ذراعاً . فزرعوها فى الأرض وعلقوا فيها الطوباوى الأنبا صرابامون . حينئذ جعل عشرين جندياً يرشقونه بالسهام لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليال ؛ وكانوا صفين فى كل صف عشرة جنود ؛ ولم يمس جسده سهم واحد .

وكان الأنبا صرابامون يصلى هكذا قائلا : « يا ربى يسوع المسيح ملك كل الدهور الذى رفع السماء وأسس الأرض فى ميراث أبيك الصالح : « أنت الذى خلصت أشعيا النبى ممن هموا بنشره بمنشار خشب شجر الزيتون . خلصت تكلا من يدى ثاماريس . وخلصت دانيال النبى من فم الأســـود . جبلت الإنسان على صورتك ومثالك . استجب طلبتى فى هذا اليوم ؛ وارسل إلىّ وخلصنى لكى يعلموا أنه لايوجد إله آخر فى السماء غيرك يا ربى يسوع المسيح » .

وأمر أريان أن يحضروا مرجلا من حديد ، وأسفلتاً وصمغاً وشمعاً وشحم خنزير . وأمر أن توضع هذه المواد به وتشعل النار بخشب وفروع الشجر حتى أرتفعت اللهب ثمانى عشر ذراعاً ... ثم أمر أن يربطوا الأنبا صرابامون برأسه ورجليه ويلقوه فى المرجل والنار تشتعل أسفله . فجلس القديس داخله وصلى إلى الله قائلا :

« أيها الرب القادر على كل شىء . لقد تكلمت فكانت الأشياء ؛ أمرت فخلقت العالم . قلت للشمس : لا تشرق فلم تشرق . ان أردت يا رب تنطفىء النار ويبس البحر . أتوسل إليك يا ربى يسوع المسيح ، يا إكليل الأبرار ، يا كورة جنسنا ، أعنى ؛ ولا تتركنى أموت الآن ، حتى أخزى الحاكم » .

وساعة العشاء ، قام الحاكم وذهب إلى الحمامات . فتذكر الأنبا صرابامون وذهب إلى المكان الذى كان موجوداً فيه ، ورأى أنه لم يمسه ضرر ، ورأت الجموع أن الشهيد لم يمسسه شىء ، وآمنوا بالله ؛ وكانوا نحو خمسمائة رجل وقد صـــاحوا : « إنا مسيحيون ونقولها علانية اننا آمنا بحريقنا » . فأمر أن يقتادوهم شمال المدينة ويضربوهم بكتل من حديد إلى أن يموتوا ؛ وهكذا أكملوا شهادتهم وأخذوا الإكليل الذى لايفسد بسلام الله آمين .

سحبوا جسد الطوباوى الأنبا صـــرابامون من الغلاية ، فانضمت أعضاؤه بعضها مع بعض . حينئذ أمر المخلص الذى يملأ كل مكان ويرى الطوباوى الأنبا صرابامون وقال :

« يا صرابامون يا صرابامون ، هذه اليد التى شكلت آدم ، أول إنسان ، هى أيضاً تشكلك الآن » . وفى الحال قام الأنبا صرابامون ووقف وعبّد المخلص فقال له الرب : « قم أصعد

إلى المدينة ، واذهب إخز الحاكم ؛ وسوف تتحمل عذابات عظيمة لأجل اسمي ، ولكن أناساً كثيرين سيؤمنون بي باسطتك ، وباركه الرب بعلامة الصليب وتركه إلى السموات بمجد عظيم .

ولما اقتادوا الأنبا صرابامون إلى السجن رأى الأخوة المسجونين من أجل اسم المسيح . فقال لهم : « السلام لجميعكم يا خاصة المسيح » فردوا عليه التحية بدورهم قائلين : « السلام لك أيها السيد ، القديس ، مختار المسيح » فنصحهم قائلا : « اضبطوا أنفسكم فإننا لا نتجرع مرارة الجهاد كل الأيام ، ولا نأخذ الإكليل كل يوم » .

وعند منتصف الليل قام الأنبا صرابامون ليصلي فسجد وقال :

« أيها الرب القادر على كل شيء الذي خلق السماء والأرض والبحر والأنهار ، الذي بسط السماء مثل قبة ، الذي أسس الأرض بكلمة من فيه ، يا من جبلت الإنسان على مثالك وصورتك ، يا من نزلت إلى الأرض ، وأعطيت جسدك ودمك للجنس البشري ، إذ بذلت جسدك ذاته على الصليب ، نزلت إلى الجحيم وأخليت مساكنه ، وخلصت آدم وبنيه وأخرجتهم من الجحيم ، تعال إلينا الآن ، يارب يسوع ، أعطنا عربون الروح ، وعرفنا ما يلزم أن يحدث لنا » .

كان كل الاخوة في السجن يصلون باسطين أذرعتهم ، وقد منحهم المسيح جميعاً السلام . وصار ضوء أبهى من ضوء الشمس . قال مخاطبا الأنبا صرابامون :

« يا حبيبي صرابامون ، ليتشجع قلبك ، لأني معك في كل شيء . وسوف أبسط رداء مجدي على من يدفن جسدك ، ومن يعتني بنقل أخبار شهادتك . ويبقى المجد والكرامة والبركة إلى الأبد في مقصورتك . واجعل كل أجيال الأرض يحتفلون باسمك . وتبقى لك أيضاً بعض العذابات تتحملها من أجل اسمي ، وسوف أهديك أيضاً إلى الأبد الأخوة الذين معك » . وقبل الخلاص الطوباوي الأنبا صرابامون والأخوة الذين معه .

وفي الصباح أرسل الحاكم في طلبه وقال له : « أما زلت ترفض أن تذبح لآلهة الملك ؟ » فتساءل القديس : « أي إله تريد أن أذبح له ؟ » قال : « بل أريد أن تذبح لأبولو وأرطاميس وأتنيه » . وأجابه إلى طلبه وكان قد سأله الأفراج عن الأخوة الذين في السجن . وحضروا جميعهم ورأوا الأنبا صرابامون واقفاً ، ووجهه يضيء بنعمة الله وصرخوا « نحن مسيحيون » . فقطعت رؤوسهم وأكملوا شهادتهم وذهبوا إلى السموات حيث يتشفعون من أجل الخطاة العديدين بسلام الله آمين .

واستدعى الحاكم الاراخنة وقال لهم : « هل أنتم أيضاً تتقاعدون أو أنتم مغتاظون لأني أهنت كرامة عظمتكم ؟ اذبحوا لآلهة الملوك » . ولكنهم ردوا : « اننا نتخلى عن كل أموالنا ، وحتى عن زوجاتنا وأولادنا . ان كان أحدهم يحب الله فلينضم إلينا » . وذهبت إحدى النساء لتخبر زوجات الاراخنة . فخرجت أولئك كلهن ويتبعهن أولادهن الصغار ؛ وحضرن إلى المنصة ورأين أزواجهن واقفين مع القديس الأنبا صرابامون . فارتمين عند أقدام الأنبا صرابامون وسألنه أن يبقى معهن حتى يخزى الحاكم أريان .

وأمر أريان أن يقبضوا عليهن ويفتحوا بطونهن وهن أحياء . ثم أخذوا الاراخنة وزوجاتهم وأولادهم إلى خارج المدينة وقطعوا رؤوسهم ؛ وهكذا اكملوا شهادتهم ، وأخذوا الإكليل الذي لا يفسد ، وذهبوا إلى السموات حيث يتشفعون من أجل الخطاة العديدين بسلام الله آمين .

ثم قال الحاكم للأنبا صرابامون : ألا تستحي أن تسحر الناس وتجلب على نفسك دم كل هؤلاء الناس ؟ » ، فقال له الأنبا صرابامون : « لست ساحراً ؛ بل بالعكس ، ان إلهي يبطل كل سحر والسحرة والشيطان . وأنت يا أريان سوف تحترق بالنار التي لا تطفأ ، أنت والملك الذي أرسلك » .

فأمر أن يضعوه فوق آلة التعذيب وأن يعذبه أربعة جلادين ، اثنان اثنان إلى أن تسيل أحشاؤه على الأرض ، وأن يجروه على وجهه ؛ وكان كل الجمع يتأمله . وصلى إلى الله قائلا : « أيها الرب القادر على كل شيء ، يا من جبل الإنسان على صورته ومثاله ، أيها الرب إلهي ، أرسل لي ميخائيل لكي يعينني في الموقف الصعب الذي أنا فيه » .

وأمر الحاكم أن يحضروا قاراً ومخوراً وشحماً وصمغاً ورماداً وشحم خنزير ، ويخلطوها بعد أن تذاب بالنار ؛ ثم جعلوهم يعرون القديس من ملابسه ، ويلطخون جسده بهذا الخليط . ثم أوثقوه وأشعلوا النار تحته . فارتفع اللهب عالياً حتى كانوا يبصرونه في كل المدينة ؛ وكان كل واحد يقول كلمته : « لماذا لم يذبح هو أيضاً ، لكي ينجو من هذه الميتة المؤلمة » . واشتعلت النار حوله منذ الفجر حتى الساعة التاسعة من النهار ؛ وكان يصلي في النار قائلا :

« أيها الرب القادر على كل شيء ، متى أردت تنطفئ النار ؛ لقد خلصت الثلاثة فتية من أتون نبوخذ نصر . الآن إذاً يا ربي يسوع المسيح ، أرسل لي وقوني في هذا الخطر الذي أنا فيه » .

فلما رآه أريان واقفاً ، تعجب جداً وقال له : « حقاً ، لقد قتلت الآلاف منذ دخولي المدينة ، ولم أجد من يعدلك في السحر

أطعنى الآن واذبح للآلهة لكى أطلق سراحك ، وتعود بسلام إلى بيتك » .

وكانت الجموع تصيح بصوت واحد قائلين : « لا يوجد إله آخر فى السماء وعلى الأرض غير يسوع المسيح إله الأنبا صرابامون. إننا مسيحيون ونعترف بذلك جهراً بإرادتنا » . وكانوا يسلمون أجسادهم للموت لكى يأخذوا إكليل الشهادة .

حينئذ إضطرب الحاكم أريان بسبب كثرة الذين استشهدوا. وقال لمن حوله : « انى أرغب حقاً أن أعرف ماذا بكل هؤلاء ، فإنهم يصعدون إلى هذه المدينة ، لكى يُقتلوا لأجل اسم المسيح» قالوا : « يا سيدنا الحاكم ، أنهم يذهبون لكى يروا هذا المسيحى الذى ألقيته فى المرجل ؛ أنه لا يكاد يغمس أصابعه فى السائل ويرشهم ، حتى يدخلون المدينة ويصيحون أنهم مسيحيون دون أن يعرفوا ما يفعلون .

وفى الحال أنفذ الحاكم أمراً بأن يسحبوا الأنبا صرابامون ويحضروه أمام المحكمة . ثم قال له : « أما تخاف الله ، حتى أنك تحمل نفسك دم كل هؤلاء الناس؟ » فرد الأنبا صرابامون : « بل أشعر بتعزية فى كل مرة يهب فيها أحدهم حياته من أجل ربنا يسوع المسيح . فاصنع بى ما يروق لك » .

وأمر أريان بطرح القديس على آلة التعذيب وأن يضربوه بأعصاب البقر إلى أن سال دمه على الأرض . ثم أحتكم إلى الملك وكتب عن كل ما حدث وعن المتاعب التى سببها له القديس .

وسلم الخطاب إلى أوريون Orion وثمانية جنود وأعد لهم مركباً . وأركبوا الطوباوى الأنبا صرابامون ويداه ورجلاه مربوطة ، وألقوه فى المركب ، وأبحروا فى اتجاه النهر إلى أن دخلوا مدينة الاسكندرية . وحينئذ أركبوه السفينة وأبحروا مسافرين ليلا ونهاراً إلى أن وصلوا إلى مدينة انطاكية ؛ فنزلوا إلى البر مع الطوباوى الأنبا صرابامون . وذهبوا لمقابلة الملك وسلموه خطاب الحاكم .

ولما رأى الملك دقلديانوس الأنبا صرابامون ، صر بأسنانه ضده قائلا : « أيها الكافر أأنت الذى تحتقر أوامر الملوك ؟ بروح آلهتى السبعين ! سوف أصنع بك ما يروق لى . لماذا سيبت كل هذه الآلام لأريان الحاكم ؟ ما كان عليك سوى أن تفعل شيئاً واحداً ، تذبح للآلهة الذين خلصونى من العدو » .

فرد الطوباوى الأنبا صرابامون وقال للملك : « أعلم انى لن أطيع أمرك ولا أمر الحاكم أريان الموت لك ولآلهتك الكاذبة؛ ليتك تحترق معها ! أنهم منذ سنة وستة شهور وهم يعذبوننى أمام

المحكمة ، وحتى الآن قد أعانني ربي يسوع . ولك أن تصنع بي ما تشـــاء » .

فأمر الملك أن يضربوه على وجهه ويضعوه على آلة التعذيب فيعذبه أربعة جلادون ؛ اثنان من كل جانب إلى أن يسيل دمه على الأرض .

ولما رأى الملك أن القديس لم يصبه أذى ، أمر أن ينادى في كل المدينة للاجتماع في مكان المجمع . ثم أرسل أمراً أن يحضروه ويلقوه في الحلبة عند مكان الاجتماع وأطلقوا عليه وحوشـــاً ضارية . لكنه صلى قائلا :

« يا ربي يسوع المسيح ، اسمعني اليوم ، أنت الذي نزلت في بطن العذراء القديسة مريم ؛ أنت الذي خلصت دانيال من فم الأسود ؛ أنت الذي خلصت سوسن بينما كانوا يجرونها لكي يهلكوها ؛ أنت الذي خلصت دانيال من الأشرار . الآن يا ربي يسوع المسيح ، اسمعني وسط هذه الحيوانات المفترسة » .

وأطلقوا الأسد . فلما وصل الأسد إليه نظر إلى وجهه ، ولما رآه يضيء بنعمة الله ، سجد خاضعاً وقبل قدميه وعاد إلى قفصه . وأطلقوا دباً ، ففعل مثله . فلما رأى الملك ما حدث ،

أطلق ضده نمراً من نوع مفترس . ولكن النمر حينما نظر إلى الأنبا صرابامون سجد وخضع له ؛ ثم ربت على كتفيه وبقي طويلا يلعق بفمه ثم عاد إلى مكانه .

فلما رأى كل الجمع هذه الأعجوبة ، صرخوا بصوت واحد قائلين : « نحن مسيحيون ونقول ذلك بحرية علانية » ، فاضطرب الملك وأمر بأن يأخذوا الناس خارج المدينة ويقطعوا رؤوسهم بالسيف . فأكملوا شهادتهم وأخـــذوا الإكليل الذي لا يفسد بسلام آمين .

وبعد ذلك كتب الملك الحكم على الطوباوي الأنبا صرابامون ، وكذلك التقرير :

« أنا دقلديانوس الملك ، أكتب لأريان حاكم جنوب مصر . كنت قد أرسلت إليّ صرابامون ـ وتحققت أنه يصنع أعمالا سحرية ، لأني أطلقت ضده الحيوانات المفترسة فسحرها . ولذلك فحينما يأتون به إليك ، عذبه حتى الموت واقتله » .

وأعطى الخطاب لأوريون وللجنود الآخرين بصحبته . فاركبوا الأنبا صرابامون إلى انطاكية وأبحروا معه إلى مصر . وبعد بضعة أيام وصلوا إلى مدينة الاسكندرية ثم وجدوا مركباً

صغيراً فأركبوا القديس فيه وأبحروا معه إلى الجنوب. ولما وصلوا أمام مدينة بشاتى، تركتهم الريح. وفى منتصف الليل استيقظوا ليجدوا أنفسهم عند البر الشرقى.

وقام أوريون وذهب إلى مدينة بشاتى، وأحضر موظفى الحاكم لكى يكونوا شهوداً لقضية أنبا صرابامون، ويكتبوا له، خوفاً من أن يقال أنه أخذ فضة وأطلق سراحه. وعند شمال مدينة بشاتى قطعوا رأسه فى حضور سكان المدينة؛ وكان كل واحد يلتقى ملابسه على جسده. وحينما قطع أوريون رأسه اكمل شهادته فى اليوم الثامن والعشرين من شهر هاتور بسلام الله. بركته المقدسة فلتكن معنا إلى الأبد آمين.

* * *